المعاني العقدية للحمدلة

أ.د. حسن حميد عبيد*   أ.د. رائد سالـم شريـف**

تاريخ وصول البحث: ٢٠٢١/٠٨/٢٢م   تاريخ قبول البحث: ٢٠٢١/١١/٠٨م

ملخص

يتناول البحث المعاني والدلالات المتضمنة فيها التي من أجلها شرع الحمد لله في الصلاة والذكر والقرآن، فضلاً عن بيان الصلة والترابط بين الذكر والإيمان، فاللفظ والدلالة العقدية بينهما علاقة وثيقة وبخاصة في الحمدلة محور البحث، والتي بذكرها تملأ الميزان، فكيف؟ وما معناها ودلالاتها العقدية؟ ولماذا كانت فاتحة أعظم سورة في القرآن، وفي سور أخرى؟ ومن ثم متى يبلغ المؤمن الدرجة العليا في سُلّم الحامدين؟

وقد خلص البحث إلى أن الكم الكثير لمدلولات وعلاقات الحمد بغيره من الألفاظ ذات الصلة صيّر البحث ومفرداته إلى نور يكشف ظلمات الجهل لدى الكثير من المسلمين الذين وقفوا عند اللفظ دون التأمل في دلالاته ومقاصده. ويُعطي مفاتيح الفهم لمعنى الحمد لله، وأن كثرة ذكرها من تمام العبودية لله ﷻ، وما يترتب على ذلك من فضائل عظيمة في الدنيا والآخرة.

The Theological Meaning of Al-Hamdalah

Abstract

The research aims to convey the interdependence between dhikr and faith, for the speech and the theological meaning between them, is profound. It has a close relationship, especially in Al-Hamdallah, which is the core of this article. And with its remembrance, the balance is filled. So how? And what does it mean? Why is it the opening of the greatest surah in the Qur'an and even other surahs? When does a believer reach the highest level in the scale of praisers؟

The abundance of meanings and the relationships of praise with other related words has turned the research to reveal the darkness of ignorance among Muslims who stood at the word without thinking its connotations and purposes. The research terms give the keys to understanding praise and other dhikrs. It includes five demands: the first is the linguistic and idiomatic meaning of praise, the second is the difference between praise, appreciation, thanksgiving, and advocacy, the third in the sections of praise and the types of praisers, and the fourth includes faith conclusions and the fifth clarifies the relationship of praise with the names of God, such as Al-Hamid, and Al-Shakur.

* أستاذ، كلية الشريعة، جامعة قطر – hobead@qu.edu.qu

** أستاذ، كلية التربية، جامعة الموصل.

مقدمة.

الحمد لله حمدا طيبا مباركا فيه كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:

أهمية البحث:

فمن مقاصد العقيدة والعبادات تعلّق القلب بالرب، والذكر للإله المعبود؛ قال الله تعالى: **﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾** [طه: ١٤]، **﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾**[الحج: ٣٤]، هذا في الصلاة والصيام والحج، فما بالك في غيرها.

ومن أعظم الأذكار: الباقيات الصالحات؛ قال الله تعالى: **﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾** [الكهف: ٤٦]، والحمد لله إحدى أعظم كلمات الذكر فالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، فأعملنا الفكر لنغوص في معاني ومدلولات الحمد العقدية.

مشكلة البحث.

مشكلة البحث متعلقة بشأن الناس اليوم من الغفلة والشرود والجهل بالذوق الإيماني للعبادات وضعف الجوارح لا سيما اللسان عن ذكر الله. وغياب المفاهيم العقدية المرتبطة به. فكان لا بد من ربط الذكر بتلك المعاني السامية لرفع الغشاوة وكشف النقاب عن أهمية ذلك الترابط الوثيق.

فمن دوافع البحث التعريف بأهمية الانتقال من ذكر لقلقة اللسان المجرد إلى ذكر مع تفكّر بالقلب، وتعقّل بالفؤاد.

منهجية البحث: استقرائية تحليلية.

الدراسات السابقة: لا توجد دراسة علمية أكاديمية تناولت موضوع الحمدلة على وجه الخصوص.

خطة البحث.

وللوصول إلى المقصود جاءت خطة البحث الموسوم بـ: المعاني العقدية للحمدلة، لتتضمن مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة. فالمبحث الأول: فيه بيان لمعنى الحمد لغة واصطلاحا. والمبحث الثاني: حول الفرق بين الحمد والمدح والثناء والشكر وتضمن المبحث الثالث: أقسام الحمد وأنواع الحامدين. وأما المبحث الرابع: فبحث في المضامين الإيمانية للحمدلة، والمبحث الخامس: لبيان إدراك المعنى المتعلق بأسماء الله ذات الدلالة على الحمد.

ثم جاءت الخاتمة لتبيّن أهم القضايا الإيمانية التي توصل إليها البحث.

نسأل الله أن يتقبل منا عملنا بقبول حسن، ويغمرنا في بحر فضله، وأن يسامحنا على تقصير هنا وهفوة هناك فهذا شأن المخلوق، وحسبنا نيتنا واجتهادنا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول:
مدلــول (الحمــد).

أولاً: لغة:

ينبغي لمن يخوض في المعنى الاصطلاحي معرفة المعنى لغة حيث إن مادة الحمد لها مدلولات لغوية. وكذلك التركيب المكون من الحمد لله له تفسر لغوي ف "الحمد: الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل باللسان وحده. والحمد: نقيض الذم. تقول: حمدت الرجل أحمده حمدا ومحمدة، فهو حميد ومحمود. وهو الثناء بالكلام على المحمود بجميل صفاته: سواء كانت من باب الإحسان أو من باب الكمال المختص بالمحمود: كعلمه وشجاعته مثلا"[(١)]. وجملة الحمد لله اسمية معدول بها عن جملة فعلية؛ لأن الحمد في الأصل من المصادر التي تنصب بأفعالها المضمرات والأصل حمدت أو أحمد الله"[(٢)].

ثم أُختلف في أل فقيل: "إنها جنسية ويعبر عنها بلام الحقيقة فتفيد قصر الحمد على الله كما هو مقتضى القاعدة وهي: إذا عرف المبتدأ باللام كان محصورا بالخبر، وإن عرّي عنها جاز العكس، واختصاص الجنس باللام يوجب اختصاص جميع أفراده به تعالى؛ لوجود الحمد فيضمن ذلك الفرد وحينئذ تساوي الجنسية الاستغراقية بالدلالة على ثبوت جميع أفراد الحمد لله، وقيل للعهد. وقيل للاستغراق"[(٣)].

"فاللام هاهنا للجنس، ومقتضاها الاستغراق فجميع المحامد لله سبحانه، إمّا وصفا وإمّا خلقا، فله الحمد لظهور سلطانه، وله الشكر لوفور إحسانه. والحمد لله لاستحقاقه لجلاله وجماله، والشكر لله لجزيل نواله وعزيز أفضاله"[(٤)].

ثانيا: اصطلاحاً:

أما لفظ الحمد عند أهل العلم فله عدة معان فمنها: "فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه مُنعمًا، أعم من أن يكون فعل اللسان أو الأركان. فحقيقة الحمد الثناء على المحمود، بذكر نعوته الجليلة وأفعاله الجميلة[(٥)]. "وأركان الحمد خمسة: حامد، ومحمود، ومحمود به، ومحمود عليه، وصيغه، فإذا حمدت زيدا لكونه أكرمك بقولك: زيد عالم، فأنت حامد وزيد محمود والإكرام محمود عليه، أي: محمود لأجله، وثبوت العلم الذي هو مدلول قولك: زيد عالم محمود به، وقولك: زيد عالم هو الصيغة، وأن المحمود عليه يشترط فيه أن يكون اختياريا حقيقة أو حكما بأن يكون منشأ لأفعال اختيارية أو ملازما لمنشئها، فيصدق بقدرة الله وإرادته وعلمه إذا حمد لأجلها فإنه وإن كانت غير اختيارية حقيقة لكنها اختيارية حكما؛ لأنها ينشأ عنها فعل اختياري، وكذا يصدق بذات الله إذا حمد لأجلها فهي اختيارية حكما لما ذكر، وكذا يصدق بالسمع والبصر والكلام ونحوها مما لا ينشأ عنه فعل اختياري إذا حمد لأجلها فهي اختيارية حكما باعتبار أنها ملازمة للذات التي ينشأ عنها فعل اختياري، وأن المحمود به لا يشترط فيه أن يكون اختياريا، بل تارة يكون اختياريا كالكرم وتارة لا يكون اختياريا كحُسن الوجه، وأن المحمود به والمحمود عليه تارة يختلفان ذاتا واعتبارا كأن يكون المحمود عليه الكرم والمحمود به العلم، وتارة يتحدان ذاتا ويختلفان اعتبارا كأن يكون كل منهما نفس الكرم، ولكن من حيث كونه باعثا على الحمد يقال له: محمود عليه، ومن حيث كونه مدلول الصيغة يقال له محمود به"[(٦)].

المبحث الثاني:
الفرق بين الحمد وبين المدح والشكر والثناء.

يستفهم البعض عن الفرق بين الحمد والشكر والمدح والثناء لورود الألفاظ في النصوص القرآنية والنبوية والأساليب العربية، وظنّها البعض أنها مترادفات، والبعض قال: لا يوجد مترادفات في اللغة وفي مطلبنا سيتبين الأمر:

"أمّا الفرق بين الحمد والمدح، فهو أن الحمد لا يستحق إلا على فعلٍ تفسير حسن، والمدح قد يكون على فعل وغير فعل، فكلُّ حمدٍ مدحٌ وليْسَ كل مدحٍ حمداً"[٧]. فـ {الحمد لله} هو الثناء على المحمود بجميل صفاته وأفعاله، والشكرُ الثناء عليه بإنعامه، فكلُّ شكرٍ حمدٌ، وليسَ كلُّ حمدٍ شكراً، فهذا فرقُ ما بين الحمد والشكر؛ ولذلك جاز أن يَحْمِدَ الله تعالى نفسه، ولم يَجُزْ أن يشكرها ..."[٨].

ليتم ايضاح معاني الألفاظ الأربعة نقول: هذه الألفاظ متقاربة المعاني؛ فالحمد الثناء باللسان على الفعل الجميل الاختياري على جهة التعظيم والتبجيل سواء كان في مقابلة نعمة أم لا. وهنا التفاتة: فقوله: الثناء باللسان تخصيصا للحمد بالحادث منه (المخلوق)؛ لأنه جعله ثناء باللسان، واللسان جارحة الكلام للحوادث لا غير ولكن الحمد ضربان: أحدهما: حمد حادث، سواء أكان المحمود قديما كقولنا: الحمد لله، أم كان المحمود حادثا كما تقول: حمدت زيدا. وثانيهما: حمد قديم، وهو ما كان من الله تعالى، سواء أكان المحمود قديما كقوله سبحانه: الحمد لله، أم كان المحمود حادثا كما في حمده سبحانه لرسله ولعباده الصالحين"[٩].

و(الاختياري) قيد لإخراج ما هو جميل، لكنه حاصل بغير اختيار المحمود وفعله كطول قامة زيد وإشراق لونه؛ فإن الثناء عليه بمثل ذلك يسمى مدحا ولا يسمى حمدا، وليعلم أن المحمود عليه غير المحمود به في الحقيقة والماهية؛ لأن المحمود عليه هو الفعل الصادر من المحمود، والمحمود به هو الكلام الصادر من الحامد"[١٠].

وأما المدح لغة فهو: (الوصف بالجميل على الجميل مطلقا)[١١]، يعني: "أنه لا فرق بين أن يكون الجميل الممدوح عليه اختياريا أم اضطراريا، وسواء أكان الممدوح من ذوي العلم أم لم يكن، كما في مدح جوهرة لصفاء لونها ونقائها، وسواء أكان في مقابلة نعمة أم لم يكن، فالحمد والمدح يشتركان في أن كلا منهما لا يكون إلاّ بالكلام، وفي أن كلا منهما لا يلزم أن يكون في مقابلة نعمة واصلة من المحمود أو الممدوح إلى الحامد أو المادح، وفي أن كلا منهما لا يكون إلاّ بوصف جميل، ويفترقان في أنه يلزم في المحمود عليه أن يكون اختياريا وأن يكون صادرا من ذوي العلم لأنهم هم الذين يُتصور الاختيار منهم؛ فبين الحمد والمدح عموم وخصوص مطلق، والمدح الأعم"[١٢].

وأما الشكر لغة: فهو (فعل يُنبئ عن تعظيم المُنعم من حيث كونه مُنعما)[١٣]، والمراد بالفعل: "ما هو أعم من القول باللسان والاعتقاد بالجنان والعمل بالأركان التي هي الجوارح، ومن هذا التعميم مع قولنا: (تعظيم المنعم) مع أن المنعم هو مُوصل الإحسان، يتضح لك أن الشكر أعم من كل من المدح والحمد من جهة، وأخص من كل منهما من جهة أخرى، وبيان ذلك: أن الشكر يكون قولا واعتقادا وفعلا من أفعال الجوارح في حين أن الحمد والمدح لا يكون واحد منهما إلا كلاما، فهذه

جهة عموم الشكر، وأن الشكر لا يكون إلا في مقابلة نعمة صادرة من المشكور سواء أكانت عائدة على الشاكر أم على غيره في حين أن الحمد والمدح لا يلزم فيهما ذلك، فهذه جهة خصوص الشكر؛ فبين الحمد والمدح مع الشكر عموم وخصوص وجهي؛ فبعض الحمد وبعض المدح يكون شكرا، وهو ما يكون بالكلام في مقابلة نعمة، وبعض الحمد وبعض المدح ليس شكرا، وهو ما يكون في غير مقابلة نعمة، وبعض الشكر لا يسمى حمدا ولا مدحا، وهو ما يكون عملا من أعمال الجوارح في مقابلة نعمة"[١٤].

"واشتهر أن الحمد في العُرف هو نفس الشكر اللغوي؛ فتكون النسبة بين الحمد اللغوي والحمد العرفي العموم والخصوص الوجهي على نحو ما مر. والشكر عرفا: هو (صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه به فيما خُلق لأجله)"[١٥].

وأما الثناء لغة؛ فهو: "(فعل ما يشعر بتعظيم المثنى عليه) فهو أعم الجميع، أي: الحمد والشكر والمدح؛ لأن الفعل أعم من أن يكون قولا أو اعتقادا أو عملا بالجارحة؛ فهو من هذه الناحية أعم من الشكر"[١٦].

المبحث الثالث:
أقسام الحمد والحامدين.

قال الطبري –رحمه الله–: ومعنى الْحَمْدُ لِلَّهِ: الشكر خالصًا لله جل ثناؤه دون سائر ما يُعبد من دونه، ودون كلِّ ما برَأَ من خلقه، بما أنعم على عباده من النِّعم التي لا يُحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحدٌ، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلَّفين لأداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وَغذَاهم به من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم لذلك عليه، ومع ما نبَّههم عليه ودعاهم إليه، من الأسباب المؤدِّية إلى دوام الخلود في دار المُقام في النعيم المقيم. فلربِّنا الحمدُ على ذلك كله أولا وآخرًا[١٧].

قال صاحب الكشاف: "وصف اللَّه تعالى بالرّحمة ومعناها: العطف والحنوّ ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها؟ قلت: هو مجاز عن إنعامه على عباده لأنّ الملك إذا عطف على رعيته ورق لهم أصابهم بمعروفه وإنعامه، كما أنه إذا أدركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه"[١٨].

قال الشيخ ابن عرفة الدسوقي: "أقسام الحمد أربعة: حمد قديم لقديم وهو حمد الله نفسه بنفسه في أزله، وحمد قديم لحادث وهو حمد الله بعض عباده، وهذان الحمدان قديمان وجعل هذا الحمد قديما تسمح؛ لأن ماهية الحمد لا بد فيها من الأركان الخمسة المتقدمة، ومن جملتها المحمود وهو هنا حادث فيكون ذلك الحمد مركبا من قديم وحادث. والقاعدة: أن المركب من القديم والحادث حادث فيكون ذلك الحمد حادثا؛ بمعنى أنه متجدد بعد عدم، إلا أن يُراد به ثناء الله فقط فيكون قديما، وحمد حادث لقديم وهو حمد العباد لخالقهم بالكلام اللساني أو النفساني ومنه تسبيح الجمادات، وحمد حادث لحادث وهو حمد العباد بعضهم بعضا بالكلام اللساني أو النفساني، وهذان الحمدان حادثان. ولما كان تعبيرهم باللسان لا يتناول إلا القسمين الأخيرين عنه المصنف وعبر بالكلام ليعم التعريف القسمين الأولين أيضا"[١٩].

نقول: قد يعترض: القديم والحادث حقيقتهما مختلفة بالقدم والحدوث ولا يجوز تعريف أمرين متخالفين بتعريف واحد.

الرد: محل الامتناع إذا كان التعريف حدّاً بالذاتيات كاشفا لحقيقة كل منهما، وأما تعريفهما برسم مميز لهما عن غيرهما فلا ضرر فيه وما هنا من هذا القبيل، فقول الشارح ليشمل الحدّ أراد به التعريف الصادق بالرسم فهو من إطلاق الخاص وإرادة العام.

"وتتفاوت طبقات الحامدين لتباينهم في أحوالهم، فطائفة حمدوه على ما نالوا من إنعامه وإكرامه من نوعي صفة نفعه ودفعه، وإزاحته وإتاحته، وما عقلوا عنه من إحسانه بهم أكثره ما عرفوا من أفضاله معهم قال جلّ ذكره: «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها»، (سورة النحل: ١٨)، وطائفة حمدوه على ما لاح لقلوبهم من عجائب لطائفه، وأودع سرائرهم من مكنونات بره، وكاشف أسرارهم به من خفي غيبه، وأفرد أرواحهم به من بواده مواجده. وقوم حمدوه عند شهود ما كاشفهم به من صفات القدم، ولم يردوا من ملاحظة العز والكرم إلى تصفح أقسام النعم، وتأمل خصائص القسم، و(فرق بين) من يمدحه بعزّ جلاله ومن يشكره على وجود أفضاله، كما قال قائلهم:

وما الفقر عن أرض العشيرة ساقنا ولكننا جئنا بلقياك نسعد

وقوم حمدوه مستهلكين عنهم فيما استنطقوا من عبارات تحميده، بما اصطلم أسرارهم من حقائق توحيده، فهم به منه يعبّرون، ومنه إليه يشيرون، يجري عليهم أحكام التصريف، وظواهرهم «٢» بنعت التفرقة مرعية، وأسرارهم مأخوذة بحكم جمع «٣» الجمع، كما قالوا:

بيان بيان الحق أنت بيانه وكل معاني الغيب أنت لسانه[٢٠]

ويمكن تقسيم الحامدين بعبارة سهلة إلى:

١- من يحمد الله لتوالي نعمه الحسية.
٢- من يحمد الله لتوالي نعمه المعنوية.
٣- من يحمد الله لذاته، أي: لأنه ﷻ المستحق بغض النظر عن النعم.
٤- من يحمد الله مستشعرا عظمة الله ومستلهماً حمده لنفسه إيقانا بأنه لن يقدر على الحمد لضآلته وعجزه فيحمده به لا بنفسه.

المبحث الرابع:
المضامين الإيمانية.

الحمد لا يستحق إلا على فعلٍ حسن، والمدح قد يكون على فعل وغير فعل، فكلُّ حمدٍ مدحٌ وليْسَ كل مدحٍ حمداً، ولهذا جاز أن يمدح الله تعالى على صفته، بأنه عالم قادر، ولم يجز أن يُحمد به؛ لأن العلم والقدرة من صفات ذاته، لا من صفات أفعاله، ويجوز أن يمدح ويحمد على صفته، بأنه خالق رازق؛ لأن الخلق والرزق من صفات فعله لا من صفات ذاته[٢١].

الشكر نوعان: واجب ومندوب. فالواجب هو ما على العبد من العمل الذي يدل على تعظيم المنعم الذي أنعم عليه وعلى غيره بترك العصيان لله تبارك وتعالى في ذلك، وهذا هو الشكر المفروض على العبد، وهذا معناه أن الشكر لله على النعم: هو بمعنى عدم استعمال هذه النعمة في معصية الله. فمن حفظ قلبه وجوارحه وما أنعم الله به عليه من استعمال شيء من ذلك في معصية الله فهو العبد الشاكر، ثم إذا بالغ في ذلك وتمكن من استعمال نعم الله تعالى فيما أحلّ الله دون عصيان وأكثر ولو من نوع من أنواع النوافل صار وليا عبدا شكورا، قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ: ١٣].

وأما الشكر المندوب فهو الثناء على الله تعالى الدال على أنه هو المتفضل على العباد بالنعم التي أنعم بها عليهم مما لا يدخل تحت إحصائهم لها"[٢٢].

المبحث الخامس:
المقاصد العقدية المتعلقة بالأسماء الحسنى الدالة على الحمد.

من المباحث العقدية المهمة: الأسماء والصفات، أي: اسماء وصفات الله تعالى، وموضوع البحث عقدي فربط أسماء الله تعالى بالحمد والشكر هو مظهر من مظاهر تجلي البيان؛ فقولنا: الحمد لله وأول الأسماء المتعلقة بالحمد هو لفظ الجلالة (الله)، والله: ﷻ المنزه عن مشابهة الحوادث، ولفظ الجلالة (الله) هو اسم الله المفرد الأعظم بالإجماع.

يقول الإمام البيضاوي: "والله أصله إله، فحذفت الهمزة وعوض عنها الألف واللام ولذلك قيل: يا الله، بالقطع إلاّ أنه مختص بالمعبود بالحق. والإله في الأصل لكل معبود، ثم غلب على المعبود بالحق.

واشتقاقه من ألّه ألهة وألوهة وألوهية بمعنى: عبد، ومنه تألّه واستأله، وقيل: من ألّه إذا تحيّر؛ لأن العقول تتحير في معرفته. . . وكان أصله ولاّه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه، فقيل: إله كإعاء وإشاح، ويرده الجمع على آلهة دون أولهة. وقيل: أصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها، إذا احتجب وارتفع؛ لأنه ﷻ محجوب عن إدراك الأبصار، ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق به"[٢٣].

والراجح: علم لذاته المخصوصة لأنه يوصف ولا يوصف به، ولأنه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه، ولأنه لو كان وصفاً لم يكن قول: لا إله إلا الله، توحيداً مثل: لا إله إلا الرحمن، فإنه لا يمنع الشركة، والأظهر أنه وصف في أصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار له كالعلم مثل: الثريا والصعق أجرى مجراه في إجراء الأوصاف عليه، وامتناع الوصف به، وعدم تطرق احتمال الشركة إليه؛ لأن ذاته من حيث هو بلا اعتبار أمر آخر حقيقي أو غيره غير معقول للبشر، فلا يمكن أن يدل عليه بلفظ، ولأنه لو دل على مجرد ذاته المخصوصة لما أفاد ظاهر قوله ﷻ: وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ معنى صحيحاً، ولأن معنى الاشتقاق هو كون أحد اللفظين مشاركاً للآخر في المعنى والتركيب، وهو حاصل بينه وبين الأصول المذكورة"[٢٤].

والتعريف فيه للجنس ومعناه: الإشارة إلى ما يعرف كل أحد أن الحمد ما هو؟ أو للاستغراق، إذ الحمد في الحقيقة كله له، إذ ما من خير إلا وهو موليه بوسط أو بغير وسط كما قال تعالى: وَما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وفيه إشعار بأنه تعالى حي قادر مريد عالم. إذ الحمد لا يستحقه إلا من كان هذا شأنه. وقرئ الحمد لله بإتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلاً لهما من حيث إنهما يستعملان معاً منزلة كلمة واحدة[٢٥].

يقول الإمام الغزالي – رحمه الله–: "يَنْبَغِي أَن يكون حَظّ العَبْد من هَذَا الِاسْم التأله، وأعني بِهِ أَن يكون مُسْتَغْرق الْقلب والهمة بِاللَّه ﷻ لَا يرى غَيره وَلَا يلْتَفت إِلَى سواهُ وَلَا يَرْجُو وَلَا يخَاف إِلَّا إِيَّاه"[٢٦].

__حميد:__ ورد اسم الله (الحميد) بأل ودونها في القرآن الكريم: ثلاث عشرة مرة منها: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} (البقرة: ٢٦٧) "الحميدُ، أي: الذي يستحق أن يُحمد على السرّاء والضرّاء، وهذا معنى قولنا: (الحمد لله على كل حال)، فإن أصابنا بسط ورخاء أو أصابنا بلاء ومرض فالله يستحق أن يحمد. وهُوَ الْمَحْمُود الْمثنى عَلَيْهِ، وَالله ﷻ هُوَ الحميد بِحَمْدِهِ لنَفسِهِ أزلا وبحمد عباده لَهُ أبدا، وَيرجع هَذَا إِلَى صِفَات الْجلَال والعلو والكمال مَنْسُوبا إِلَى ذكر الذَّاكِرِينَ لَهُ، فَإِنَّ الْحَمد هُوَ ذكر أَوْصَاف الْكَمَال من حَيْثُ هُوَ كَمَال تَنْبِيه و"الحميد من الْعباد من حمدت عقائده وأخلاقه وأعماله وأقواله كلهَا من غير مثنوية، وَذَاكَ هُوَ مُحَمَّد ﷺ وَمن يقرب مِنْهُ من الْأَنْبِيَاء وَمن عداهم من الْأَوْلِيَاء وَالْعُلَمَاء وكل وَاحِد مِنْهُم حميد بِقدر مَا يحمد من عقائده وأخلاقه وأعماله وأقواله، وَإِذا كَانَ لَا يَخْلُو أحد عَن مذمة وَنقص وَإِن كثرت محامده فالحميد الْمُطلق هُوَ الله تَعَالَى"[٢٧].

__الشكور:__ ورد اسم الله الشكور في القرآن أربع مرات منه، قال الله تعالى: **﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾**[الشورى: ٢٣] و"هُوَ الَّذِي يجازي بِيَسِير الطَّاعَات كثير الدَّرَجَات وَيُعْطِي بِالْعَمَلِ فِي أَيَّام مَعْدُودَة نعيما فِي الْآخِرَة غير مَحْدُود، وَمن جازى الْحَسَنَة بأضعافها يُقَال إِنَّه شكر تِلْكَ الْحَسَنَة، وَمن أثنى على المُحسن أَيْضا يُقَال إِنَّه شكر، فَإِنْ نظرت إِلَى معنى الزِّيَادَة فِي المجازاة لم يكن الشكُور الْمُطلق إِلَّا الله ﷻ لِأَن زياداته فِي المجازاة غير محصورة وَلَا محدودة فَإِن نعيم الْجنَّة لَا آخر لَهُ، وَالله ﷻ يَقُول: **﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾** [الحاقة: ٢٤]، وَإِنْ نظرت إِلَى معنى الثَّنَاء؛ فثناء كل مُثْنٍ على فعل غَيره، والرب ﷻ إذا أثنى على أَعمال عباده فقد أثنى على فعل نَفسه؛ لِأَن أَعْمَالهم من خلقه"[٢٨].

"قَالَ الْحَلِيمِيُّ: الشَّاكِرُ مَعْنَاهُ الْمَادِحُ لِمَنْ يُطِيعُهُ وَالْمُثْنِي عَلَيْهِ وَالْمُثِيبُ لَهُ بِطَاعَتِهِ فَضْلًا مِنْ نِعْمَتِهِ، قَالَ: وَالشَّكُورُ هُوَ الَّذِي يَدُومُ شُكْرُهُ وَيَعُمُّ كُلَّ مُطِيعٍ وَكُلَّ صَغِيرٍ مِنَ الطَّاعَةِ أَوْ كَبِيرٍ، وَذَكَرَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ فِيمَا أُخْبِرْتُ عَنْهُ بِمَعْنَاهُ فَقَالَ: الشَّكُورُ هُوَ الَّذِي يَشْكُرُ الْيَسِيرَ مِنَ الطَّاعَةِ فَيُثِيبُ عَلَيْهِ الْكَثِيرَ مِنَ الثَّوَابِ وَيُعْطِي الْجَزِيلَ مِنَ النِّعْمَةِ، فَيَرْضَى بِالْيَسِيرِ مِنَ الشُّكْرِ، قَالَ: وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ ﷻ بِالشَّكُورِ تَرْغِيبُ الْخَلْقِ فِي الطَّاعَةِ قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ لِئَلَّا يَسْتَقِلُّوا الْقَلِيلَ مِنَ الْعَمَلِ فَلَا يَتْرُكُوا الْيَسِيرَ مِنْ جُمْلَتِهِ إِذَا أَعْوَزَهُمُ الْكَثِيرُ مِنْهُ وَمِنْهَا"[٢٩].

و"العَبْد يتَصَوَّر أَن يكون شاكرا فِي حق عبد آخر مرّة بالثناء عَلَيْهِ بإحسانه إِلَيْهِ وَأُخْرَى بمجازاته بِأَكْثَر مِمَّا صنعه إِلَيْهِ وَذَلِكَ من الْخِصَال الحميدة، قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ»[٣٠]، وَأما شكره لله ﷻ فَلَا يكون

إِلَّا بِنَوْع من الْمجَاز والتوسع، فَإِنَّهُ إِن أثنى فثناؤه قَاصِر لِأَنَّهُ لَا يحصي ثَنَاء عَلَيْهِ، وَإِن أطَاع فطاعته نعْمَة أُخْرَى من الله عَلَيْهِ، بل عين شكره نعْمَة أُخْرَى وَرَاء النِّعْمَة المشكورة، وَإِنَّمَا أحسن وُجُوه الشُّكْر لنعم الله ﷻ أَن لَا يستعملها فِي مَعَاصيه بل فِي طَاعَته وَذَلِكَ أَيْضا بِتَوْفِيق الله وتيسيره فِي كَون العَبْد شاكرا لرَبه"(٣١).

"والشكور هو الفعول، والفعول والفعال هما اللذان يكثران الفعل؛ فكأن الشكور هو الذي يعتقد الشكر لربه، ويشكر مع الاعتقاد؛ فيكون منه الاعتقاد والمعاملة جميعًا"(٣٢).

وقال أبو منصور الماتريدي في تفسير قوله تعالى: ﴿**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**﴾[الإسراء: ٣]. يعني: نوحًا، قَالَ بَعْضُهُمْ: سمّاه شكورًا؛ لأنه كان يذكر ربه في كل أحواله، وقال بعضهم: الشكور هو الذي يبتغِي مرضات مُنعمِهِ، ويجتنب مُساخطه، وقَالَ بَعْضُهُمْ: الشكور هو المُطيع لله. أو يقال: كانت عبادته لله عبادة شكر لا عبادة استغفار، أي: كان شكورًا في عبادته لا مستغفرًا"(٣٣).

الخاتمة.

الحمد لله الذي أوصلنا إلى نهاية المطاف، ويمكن أن نذكر بالنقاط الآتية أهم الاستنتاجات التي توصل إليها البحث وكما يأتي:

١- للحمد دلالات ومقاصد ومعانٍ اصطلاحية والراجح: كلام يُشعر بتعظيم المُنعم بسبب كونه مُنعمًا.

٢- وجود علاقات بين الألفاظ المتقاربة، فبين الحمد والمدح عموم وخصوص مطلق، والمدح الأعم. وبين الحمد والشكر فالشكر أعم من كل من المدح والحمد من جهة، وأخص من كل منهما من جهة أخرى، فبين الحمد والمدح مع الشكر عموم وخصوص وجهي؛ فبعض الحمد وبعض المدح يكون شكرا؛ وهو ما يكون بالكلام في مقابلة نعمة، وبعض الحمد وبعض المدح ليس شكرا، وهو ما يكون في غير مقابلة نعمة، وبعض الشكر لا يسمى حمدا ولا مدحا، وهو ما يكون عملا من أعمال الجوارح في مقابلة نعمة. وأما الثناء وأما الثناء فهو أعم الجميع.

٣- أقسام الحمد أربعة: حمد قديم لقديم وهو حمد الله نفسه بنفسه في أزله، وحمد قديم لحادث وهو حمد الله بعض عباده وحمد حادث لقديم وهو حمد العباد لخالقهم بالكلام اللساني أو النفساني ومنه تسبيح الجمادات، وحمد حادث لحادث وهو حمد العباد بعضهم بعضا بالكلام اللساني أو النفساني، وهذان الحمدان حادثان.

٤- طوائف الحامدين أربع: فطائفة حمدوه على ما نالوا من إكرامه وإنعامه، وطائفة حمدوه على ما لاح لقلوبهم من عجائب لطائفه. وقوم حمدوه عند شهود ما كاشفهم به من صفات القدم، ولم يردوا من ملاحظة العز والكرم إلى تصفح أقسام النعم، وتأمل خصائص القسم، ففرّق بين من يمدحه بعز جلاله ومن يشكره على وجود أفضاله. وقوم حمدوه مستهلكين عنهم فيما استنطقوا من عبارات تحميده، بما اصطلم أسرارهم من حقائق توحيده.

٥- من المعاني العقدية المتعلقة بالحمد تعلّقه بصفات الله وهي: الوجود والعلم والقدرة والحياة.

٦- والأسماء الإلهية المرتبطة بلفظ ومدلول الحمد الله والحميد والشكور، فالله عزوّجل المُنزّه عن مشابهة الحوادث، ولفظ

الجلالة (الله) هو اسم الله المفرد الأعظم، والحميد: الحميدُ، أي: الذي يستحق أن يُحمد على السرّاء والضرّاء، وهذا معنى قولنا: (الحمد لله على كل حال)، والشكور: هُوَ الَّذِي يجازي بِيَسِير الطَّاعَات كثير الدَّرَجَات وَيُعْطِي بِالْعَمَلِ فِي أَيَّام مَعْدُودَة نعيما فِي الْآخِرَة غير مَحْدُود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه.

الهوامش.

(١) ينظر: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، **الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، (ط٤)، (٢/ ٤٦٦). وينظر: علي بن محمد ابن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، **التعريفات**، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، (ط١)، ص٩٣.

(٢) الإمام محمد بن يوسف بن عمر السنوسي (ت ٨٩٥هـ)، **أم البراهين**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م، (ط٢)، ص٣٤.

(٣) الشيخ أحمد بن محمد العدوي الدردير (ت ١٢٠١هـ)، **حاشية السباعي على شرح الخريدة البهية**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، (ط١)، ص١١.

(٤) عبد الكريم بن هوازن، (ت ٤٦٥هـ)، **لطائف الإشارات "تفسير القشيري"**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، (ط٣)، ١/ ٤٥.

(٥) لطائف الإشارات، **تفسير القشيري**، ١/ ٤٥.

(٦) محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت ١٢٣٠هـ)، **حاشية الدسوقي على أم البراهين**، دار الكتب العلمية – لبنان، ٢٠٠٨م، (ط٢)، ص٣٩.

(٧) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، **تفسير الماوردي "النكت والعيون"**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط١)، (١/ ٥٣).

(٨) المصدر السابق: ٥٣/١. المصدر السابق، ص١١-١٣.

(٩) محمد محيي الدين عبد الحميد، **النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد**، مطبعة: السعادة- مصر، ١٩٥٥م- ١٣٧٥هـ، (ط٢)، ص١١-١٣.

(١٠) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، (ط١)، ١٩٨٧م.

(١١) النظام الفريد: مصدر سابق، ص١١-١٢.

(١٢) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٢٠٠١م، (ط١)، ٢٥١/٤.

(١٣) النظام الفريد، **مصدر سابق**، ص١٢.

(١٤) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، **التعريفات**، ص١٢٨. ضبطه وصححه: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، (ط١)، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

(١٥) **النظام الفريد**، ص١٢.

(١٦) **تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر، (١/ ١٣٥).**

(١٧) **تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (١/ ٨).**

(١٨) **لطائف الإشارات، تفسير القشيري**، ١/ ٤٦.

(١٩) **تفسير الماوردي**، "**النكت والعيون**"، ١/ ٥٤.

(٢٠) الشيخ الدكتور جميل بن محمد بن علي، **الشرح الفريد لجوهرة التوحيد**، شركة دار المشاريع -بيروت، ١٤٣٨هـ- ٢٠١٦م، (ط١)، ١/٣٠.

(٢١) ....

(٢٢) ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، **تفسير البيضاوي**" **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**"، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٩٩٨م – ١٤١٨هـ، (ط١)، ١/٢٦.

(٢٣) **المصدر السابق**، ١/٢٦.

(٢٤) **المصدر السابق**، ١/٢٧.

(٢٥) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي – قبرص، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م، (ط١)، ص٦٢.

(٢٦) **المصدر السابق**، ص١٣٠.

(٢٧) **المصدر نفسه**، ص١٠٦.

(٢٨) حمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، **الأسماء والصفات**، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ط١، (١/ ١٧٩).

(٢٩) خرجه الترمذي في سننه: (٤/ ٣٢٩) رقم الحديث ١٩٥٤. وقال: صحيح، وأبو داود برقم ٤٨١١، وغيرهما بسند صحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ من لا يشكر الناس لا يشكر الله». وصحّحه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٤١٦، ١/٧٧٥.

(٣٠) المقصد الأسنى، ص١٠٥.

(٣١) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، **تفسير الماتريدي** "**تأويلات أهل السنة**"، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط١)، ٨/ ٤٣٤.

(٣٢) **المصدر السابق**، (٧/ ٥).

(٣٣) المصدر نفسه.

al-Maṣādir wa-al-marāji‘

- al-asmā’ wa-al-ṣifāt: Aḥmad ibn al-Ḥusayn ibn ‘Alī ibn Mūsá Abū Bakr al-Bayhaqī (t 458h) ḥaqqaqahu wa-kharraja aḥādīthahu wa-‘allaqa ‘alayhi: ‘Abd Allāh ibn Muḥammad al-Ḥāshidī, Maktabat al-Sawādī, Jiddah-al-Mamlakah al-‘Arabīyah al-Sa‘ūdīyah, Ṭ: 1, 1413 H-1993M, 1/179.
- Umm al-Barāhīn wa-sharaḥahā: lil-Imām Muḥammad ibn Yūsuf ibn ‘Umar al-Sanūsī (t: 895h), mṭ: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt, Ṭ: 2, 2008M.
- Anwār al-tanzīl wa-asrār al-ta’wīl (tafsīr al-Bayḍāwī): Nāṣir al-Dīn Abū Sa‘īd ‘Abd Allāh ibn ‘Umar ibn Muḥammad al-Shīrāzī al-Bayḍāwī (t: 685h)، Tḥ: Muḥammad ‘Abd al-Raḥmān al-Mar‘ashlī, mṭ: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī – Bayrūt, Ṭ: 1, 1998M-1418 H
- alt‘ryfāt: ‘Alī ibn Muḥammad ibn ‘Alī al-Zayn al-Sharīf al-Jurjānī (t: 816h) tḥ: ḍabaṭahu wa-ṣaḥḥaḥahu Jamā‘at min al-‘ulamā’, Maṭba‘at Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah Bayrūt Ṭab‘ah 1, 1403h-1983m.
- Jamharat al-lughah: Abū Bakr Muḥammad ibn al-Ḥasan ibn Durayd al-Azdī (t: 321h) tḥ: Ramzī Munīr Ba‘labakkī, Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn – Bayrūt, Ṭ 1-1987m،
- Ḥāshiyat al-Dasūqī ‘alá Umm al-Barāhīn: Muḥammad ibn Aḥmad ibn ‘Arafah al-Dasūqī al-Mālikī (t: 1230h), mṭ: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah – Bayrūt, Ṭ: 2-2008m. . ،
- Ḥāshiyat al-Sibā‘ī ‘alá sharḥ al-Kharīdah al-bahīyah lil-Shaykh Aḥmad ibn Muḥammad al-‘Adawī al-Dardīr (t: 1201h), Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt, Ṭ1-1427h-2006m. ،
- Sunan al-Tirmidhī: Ṭ, Bayt al-afkār al-Dawlīyah،2006m
- Sunan Abū Dāwūd: taḥqīq Shu‘ayb al-Arnā’ūṭ wa-ākharūn, Dār al-Risālah al-‘Ālamīyah, T: 1-1430 h-2009m.
- al-Silsilah al-ṣaḥīḥah: Muḥammad Nāṣir al-Dīn al-Albānī, Maktabat al-Ma‘ārif – al-Riyāḍ-d. t.
- al-sharḥ al-farīd li-jawharat al-tawḥīd: al-Shaykh al-Duktūr Jamīl ibn Muḥammad ibn ‘Alī, mṭ: Sharikat Dār al-Mashārī‘, Bayrūt,T: 1,1438H-2016M.
- al-ṣiḥāḥ: Tāj al-lughah wa-ṣiḥāḥ al-‘Arabīyah, Abū Naṣr Ismā‘īl ibn Ḥammād al-Jawharī al-Fārābī (t: 393h) tḥ: Aḥmad ‘Abd al-Ghafūr ‘Aṭṭār, Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn – Bayrūt,T: 4,1407H-1987M.
- Laṭā’if al-Ishārāt (tafsīr al-Qushayrī): ‘Abd al-Karīm ibn Hawāzin (t: 465h), tḥ: Ibrāhīm al-Basyūnī mṭ: al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb – Miṣr,ط : 3. . T.
- al-Maqṣad al-Asná fī sharḥ ma‘ānī Asmā’ Allāh al-ḥusná: Abū Ḥāmid Muḥammad ibn Muḥammad al-Ghazālī al-Ṭūsī (t: 505h), tḥ: Bassām ‘Abd al-Wahhāb al-Jābī, mṭ: al-Jaffān wa-al-Jābī – Qubruṣ,T: 1,1407H-1987M.
- al-niẓām al-farīd bi-taḥqīq Jawharat al-tawḥīd: Muḥammad Muḥyī al-Dīn ‘Abd al-Ḥamīd, Maṭba‘at: als‘ādt-mṣr,T: 2,1375H-1955M.
- al-Nukat wa-al-‘uyūn (tafsīr al-Māwardī): Abū al-Ḥasan ‘Alī ibn Muḥammad ibn Muḥammad ibn Ḥabīb al-Baṣrī al-Baghdādī, al-shahīr bālmāwrdy (t: 450h), Tḥ: al-Sayyid Ibn ‘Abd al-Maqṣūd ibn ‘Abd al-Raḥīm, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah-Bayrūt,T: 1.